كتاب « عارف حكمة ... » وملاحظات على تحقيقه

« عارف حكمة ـ حياته ومآثره » أو « شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحِكَم » تأليف شهاب الدين أبي الثناء محمود بن عبدالله الألوسي (١٢٠٧ ـ ١٢٧٠هـ) . حقق نصوصه وخرج أحادِيْثَهُ وعلق عليه الدكتور محمد العيد الخطراوي . دمشق ـ بيروت ، مؤسسة علوم القرآن ومكتبة دار التراث بالمدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤٠٣/١٩٨٣ ـ ٢٤٧ ص . يطلب من الوكالة العامة للتوزيع ـ دمشق . ص.ب ٤٦٢٠ ـ الحلقة رقم (٢) من سلسلة (دراسات حول المدينة المنورة) .

١ ـ عارف حكمة : عارف حكمت ، لأن الاسم تركي (عثماني) ويرسمه أهله وصاحبه والألوسي بالتاء الطويلة (حكمت) ، فلهذه التاء معنى ودلالة تاريخية ، ثم إنها هكذا وجدت فلماذا التصرف بها . ولا تجد في الذكور من اسمه حكمة .

السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة سبع وأربعين وسبعمائة هلالية هجرية .

وصفحات الكتاب (١٥٤) في الأولى عنوان الكتاب والأخيرة خالية من الكتابة ، وفي الصفحة ١٩ سطراً ، والخط حسن واضح ، إلا أنه لايخلو من التحريف والخطاء .

حمد الجاسر

الحواشي :

١ ـ انظر «الدراسات العربية في المانيا ـ تطورها التأريخي ووصفها الحالي» للأستاذ البرت ديتريش ـ أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة جوتنجن .

٢ ـ يحسن الرجوع إلى البحث الممتع الذي نشره الدكتور خليل أبو رحمة من جامعة اليرموك في مجلة «معهد المخطوطات» في الكويت [م ٣٠ ج ١ تاريخ جمادى وشوال سنة ١٤٠٦ ص ٣٩١/٤٢٨] ـ عن الراعي النميري وشعره .

٣ ـ كذا في الأصل ولعل الصواب (أن حد البلاغة) .

٤ ـ كذا ولعل الصواب (لم يفضل) .

٢ ـ لقد تصرف (المحقق) بالعنوان على خلاف مقتضيات (علم التحقيق) أي انه لم يحتفظ بالعنوان الأصلي ، الذي اختاره المؤلف نفسه ، وهو « شهي النغم . . . » فلم يجعل المؤلف عنوان كتابه « عارف حكمت » .

وإذا كان ولابد وشاء المحقق أن يوضح دلالة العنوان للقاريء المعاصر ، فليكن بعد أن يذكر العنوان الأصلي أولا هكذا : « شهي النغم . . . » [أو عارف حكمت : حياته ومآثره] .

ثم إن المحقق ، حين تكلم على عمله في التحقيق (ص ١١) لم يذكر للقاريء أنه غيّر العنوان الأصلي أو تصرف فيه !

٣ ـ ذكر من مؤلفات الألوسي (ص ١٧ ـ ١٨) « روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني » . وقال (طبعة المطبعة المنيرية بمصر في اثني عشر مجلداً) . وفي « فهرست المطبوعات العراقية » لعبدالجبار عبدالرحمن أنه (٣٠) جزءاً في (١٥) مجلداً ، ثم انه ذكر سنة الطبع ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م .

وقال المؤلف : (وكان الطبع لأول مرة في مطبعة بولاق بمصر سنة ١٣٠١ في تسعة مجلدات ضخام) ، ويزيد « فهرست المطبوعات العراقية » ما يدل على أن الطبع استغرق عدة سنوات ١٣٠١ ـ ١٣١٠ = ١٨٨٣ ـ ١٨٩٢م .

وذكر « الفهرست » طبعة أخرى هي : القاهرة ، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع ١٩٦٤م ، تحقيق محمد زهدي النجار .

وكان المناسب أن يبدأ المؤلف بأقدم الطبعات . .

٤ ـ وذكر من المؤلفات ص ١٩ : « غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب » (طبع بمطبعة الشابندر ببغداد سنة ١٣٢٧هـ) . ونقل في وصفه أقوال آخرين بدون أن يدل على رؤيته إياه واطلاعه عليه وإفادته منه . وهذا يقلل من قيمة عمله ، لما لهذا الكتاب من صلة مباشرة بالكتاب المحقق ، ولأنه يتضمن وصف رحلته من بغداد إلى أستانبول قاصداً عارف حكمت شيخ الإسلام هناك ، ثم العودة إلى بغداد . ولعارف حكمت مكان

واسع جداً من الرحلة « غرائب الاغتراب » .

ومن الزيادة في وصفها (حقوق إعادة الطبع محفوظة لنجل المصنف . . . السيد أحمد شاكر أفندي الألوسي) (طبع في مطبعة الشابندر في بغداد على نفقة صاحبها . . .) ويقع الكتاب في (٤٥١) صفحة تسبقه في المقدمة (١٢) صفحة للفهرس .

٥ ــ تحدث المحقق (ص ١٠) عن اسم الكتاب فقد ورد مرة أنه « شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم » ، ومرة أنه « شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم » وصوّب الأول (كما هو مثبت بظاهر النسخة المخطوطة) للكتاب . ونذكر هنا ــ ما لم يطلع عليه من « غرائب الاغتراب » فقد قال المؤلف الألوسي نفسه وهو يتحدث ص ١١٣ (عن شيخ الإسلام . . . في نعوته الباهرة رجل الدنيا والآخرة) ، ص ١٣٣ (وقد ذكرنا بعض ذالك في كتابنا شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم) .

ذكر هذا في كتابه « غرائب الاغتراب » (ص ١٣٢ ــ ١٣٣) وواضح أن المؤلف الألوسي كتب ترجمة عارف حكمت وهو يعتزم التوجه إليه يشكو عزله ، في الآستانة ، فقد قال لما وصل إسلامبول والتقى بأحمد عارف حكمت لأول مرة (ص ١١٧) : (سيدي وسندي السيد أحمد عارف بك أفندي وقد أفردت ترجمته بالتدوين وقدمتها إلى حضرته المشبهة حظائر عليين . . .) .

يتضح من هذا أن « ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم » أسبق في التأليف من « غرائب الاغتراب » . ويكفي أن يصرح الألوسي نفسه بما صرّح .

يبقى أنك تجد في كتاب « ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم » وهو « شهي النغم . . . » أخباراً وأموراً متأخرة عن تاريخ اللقاء الأول ولا تدل هذه ــ بالضرورة ــ على تأخر تأليف الترجمة عن «غرائب الاغتراب» وإنما تدل على أن المؤلف الألوسي شرع ــ بعد اللقاء الأول ــ يزيد على الترجمة مايراه مناسبا مما يجد له من أخبار وآراء ومآثر . ومن هذه الزيادة ما يمكن أن يعود إلى أيام الرحلة نفسها ، ومنها ماكان لدى العودة وبعد تأليف « غرائب الاغتراب » (تنظر ص ٢٢٩) ــ

ولم تطل حياته فقد وصل إلى بغداد في (خامس شهر ربيع الأول ثالث شهور سنة تسعة وستين بعد الألف والمائتين . . .) وتوفي في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٢٧٠هـ .

٦ ــ ترجم المحقق للشهاب الألوسي (ص ص ١٣ ــ ٣٠) ولو اطلع على « غرائب الاغتراب » لوجد مادة نافعة للترجمة ويكفي أنْ يكون من فصولها تراجم لشيوخه ، بل ترجمة لوالده بل ترجمة (ذاتية) للمصنف نفسه (تنظر ص ص ٥ ــ ٢٥ . . .) وفيها يحدد ميلاده بـ (قبيل ظهر الجمعة رابع عشر من شعبان . . .) وفي هذه الترجمة السبب الصريح في الرحلة إلى شيخ الإسلام بالأستانة يشكو إليه حاله وقد عزله محمد نجيب باشا من منصبه مفتياً للحنفية ببغداد .

٧ ــ تكلم المحقق (ص ٣١) ــ على مكتبة عارف حكمت . ونَزِيد أن في « غرائب الاغتراب » ما ينفع ويجدي مباشرة .

٨ ــ ان لعدد من التقاريظ والإجازات الواردة في « شهي النغم » مشابهاً أو مطابقاً في « غرائب الاغتراب » ــ ومن ثم فهو يعين في التحقيق ، وكذالك المساءلات الشعرية . .

٩ ــ ذكر المؤلف الألوسي في مقدمة كتابه « شهي النغم » : (. . . خرجت من زوايا الزوراء . . .) يقصد بدء رحلته إلى إسلامبول . وذكر المحقق في الحاشية : (الزوراء : بغداد . وكان خروجه منها سنة ٢٦٧) وأَزِيدُ أن المؤلف حَدَّدَ خُروجَهُ في «غرائب الاغتراب» باليوم والشهر : (غرة جمادىٰ سنة . . .) يقصد جمادى الآخرة (تنظر ص ٢) .

١٠ ــ ص ٨٣ (ظهور الشمس في رابعة النهار) : رائعة النهار .

١١ ــ ص ١٥٥ ــ (وله تقاريض) لرسم تقاريض بالضاد هذه وجه معجمي ولكن الأولى أنْ ترسم بالظاء ، فهكذا ترد عادة ، وهكذا وردت في « غرائب الاغتراب » ، وفي « شهي النغم » نفسه (ص ١٥٧) .

١٢ ــ ص ١٥٨ (وقد قيل :

إن الكـلام لفي الفؤاد وإنمـا   جعل الكلام على الفؤاد دليلا

قال المحقق : (وهذا البيت من شعر الأخطل) ولم يُؤَلَّف عن الأخطل (وعن صاحبيه جرير والفرزدق) هذه المعاني العقلية إنها إن كانت في العصر الأموي فأولى أن تعود إلى البصرة وشعرائها المتأخرين قليلاً ـ أو كثيراً ـ عن الأخطل . وكم كان مناسباً أن يعود المحقق إلى ديوان الأخطل ويؤيد به نسبة البيت . رجعت إلى ديوان الأخطل الذي نشره صالحاني فما وجدت البيت ، وإلى ديوان الأخطل (صناعة السكري) تحقيق : قباوة فما وجدت البيت . استعنت بالدكتور حاتم الضامن فأفاد أن سبق له العلم بالبيت من حيث هو بيت ثم رجع فوجد أنه مما استشهد به ابن هشام في « شذور الذهب » قال : (قال الأخطل) . قلت : هذا لا ينفعنا كثيراً فابن هشام متأخر (جدًا من القرن الثامن) ولم يكن الأخطل من اهتمامه وزاد الدكتور الضامن أن صالحاني أثبت هذا البيت مع بيت يليه في ملاحق ديوان الأخطل نقلا عن ابن هشام . قلت : وهذا لا يغير شيئا من الحقيقة .

وأفاد الدكتور الضامن بأن البيت ورد (مع بيت آخر) في « البيان والتبيين » : (وقال آخر)[1] . قلت : لو علم الجاحظ أنه للأخطل لنسبه إليه . والبيت ـ ورواية الجاحظ ـ يؤيد أنه من بيئة عقلية كالبصرة[1] .

١٣ ـ ص : ١٦٣ :

وكـذاك أنت أجدت من قضى   أعلى القضـاة وأعظم الأحياء

قال المحقق في الحاشية : (كذا في الأصل) .

وأقول : صحيحه في « غرائب الاغتراب » (ص ٣٧٣) : (وكذاك أنت محدث ممن قضى . . .)

١٤ ـ ص ١٦٨ وغيرها ص ١٧٤ ، ٢١٨ يرد رسم مشائخ ، مشائخه بالهمز وهكذا كانوا يرسمون في عصر المؤلف ـ كما يبدو ـ ولكن الصحيح الذي يحسن أن ينبه عليه المحقق : مشايخ ، مشايخه بالياء .

١٥ ــ ص ٢٠٢ (ولا يبعد أن يكون قد أخذه كلّه بالمرة) .

تنفع لمن يؤرخ ورود (بالمرة) في الكلام ــ وهي من الاستعمال المتأخر زمناً .

١٦ ــ ص ٢٠٢ (شطْر التاريخ ــ يقصد التأريخ بالشعر . وقال المحقق في الهامش (هو تاريخ إجازته للشيخ بالحساب الأبجدي . . .) .

وأقول : إن للتأريخ بالحساب الأبجدي اسماً خاصاً هو حساب (الجُمَّل) بضم الجيم وتشديد الميم .

١٧ ــ ص ٢٢٨ (حقائق الألفاظ اللغوية الغير الداخلة فيه . . .) .

تنفع لمن يؤرخ دخول الألف واللام على (غير) ــ وهو من الاستعمال المتأخر زمناً .

ووردت ص ١٢٢ (المسافر خانه) .

١٨ ــ لم يتبع المحقق في « مراجع التحقيق » (ص ٢٣٢ ــ) أي نظام منهجي ولم يلتزم التسلسل الهجائي للمراجع ، وربما اكتفى من المرجع بقليل لا يكفي كأن يقول : (العبر للإمام الذهبي) . ولم ترد مؤلفات الألوسي نفسه في المراجع ، وذالك يمكن أن يعني أن المحقق لم يرجع إليها .

١٩ ــ يمكن أن نضيف إلى مراجع دراسة الألوسي كتاب استاذنا الدكتور محمد مهدي البصير : « نهضة العراق الأدبية » ، بغداد ، مطبعة المعارف ١٣٥٦/١٩٤٦ ص ص ٢١٩ ــ ٢٥١ وقد وقف خصوصاً عند « مقاماته » و« غرائب الاغتراب » و« شعره » .

ونضيف كذالك كتاب الأستاذ عباس العزاوي (المحامي) ــ « ذكرى أبي الثناء الألوسي » ، بغداد . شركة الطباعة والتجارة ١٣٧٧/١٩٥٨ .

٢٠ ــ ص ٨٠ (الشاب السريُّ : أحمد عزة أفندي العمري)

أترى (عزة) ورد في الأصل على هذا الرسم (بالهاء) أم أنه رسم (عزّت) كما هو المألوف آنذاك وبدلالة العصر العثماني أو التأثر به ؟ أرجح أنها ــ في الأصل ــ (عِزّت) .

من مراجع المحقق عن العمري « الأعلام » : ١٦٩ وهو في الأعلام ــ أعلام الزركلي ١٦٩/١ : (أحمد عزت) .

٢١ ــ ص ٨٧ : (وقع في مجلس عارف حكمت سؤال عن معنى بيتين من الشعر (فتحيّرت بزات أفكار من حضر حظيرته المنورة . . .) .

ويشرح المحقق (البزات : جمع بزة ، وهي الهيئة) .

أترى الأصل ورد على (بزات) بتاءٍ ؟

أما يكون الأفضل (بُزَاة) جمع بازي ، والبازي يصيد ، وتحيرت أفكار الحاضرين بصيد المعنى المطلوب . وفي المؤلفات القديمة ما اسمه : « صيد الخاطر » لابن الجوزي .

٢٢ ــ ص ١٠٣ :

لَـوْلَاهُمُ فِي الْحَيِّ مَـادَاعٍ دَعَـا لِلّٰهِ : حَيٌّ عـلى الصَّـلَاةِ وَأَذَّنَـا
لَـوْلَاهُمُ فَـوقَ المَنَـابِرِ مَـارَقَى رَاقٍ ، ولا قَـرأَ الحـدِيثِ مُعَنْعنا

أ ــ فتح القاف من رقَى والصحيح كسر القاف لإنها رَقِيَ كَرَضِيَ .

ب ــ وقال في ذيل الصفحة عن (داعٍ) : في الأصل (الداعي) ، وعن راقٍ : في الأصـل (الراقي) بمعنى أن المحقق تصرف بالأصل ، وهذا يجوز ــ إذا جاز ــ في حالة وضوح الخطإ على وجهٍ لا نقاش فيه ، مع استحالة صدوره عن المؤلف الأصلي . وليست حال (الداعي) و (الراقي) من هذه الحال . وكان للمحقق ــ إذا كان ولابُدَّ ــ أن يُبقي الأصل على أصله ، ويسجل ملاحظاته للوجه الذي يذهب إليه في ذيل الصفحة .

وتتكرر الحال . . . ولا يخلو المحقق ــ أحيانا ــ من صواب . . . ولكن النقاش ــ أصل النقاش فيما لا يتضح فيه الخطأ أو ما يبقى فيه للمؤلف وجهٌ .

جاء في متن ص ١٣٥ (. . . وأضحى الفلك دائراً بكِسوته الخضراء فَرحاً بهذا المولى دوران مُوَلَّهٍ أسكره بَعْدَ النأيِ وِصَالُ الأحباب . . .)

والمعنى منسجم ولكلمة (مُوَلَّه) ، مناسبتها للمطلوب .

ولكن المحقق سمح لنفسه ان يرفع (مُوَلَّه) ويضع موضعها (مولدي) وهذا غير صحيح في علم التحقيق ، فَمُوَلَّهٌ في حاقّ مكانها و (مولدي) نسبة ــ فيما يبدو ــ إلى حفلات (المولد النبوي) متصلةً بالتصوف ــ بوجه من الوجوه ــ وليست هذه النسبة من مألوف اللغة . ثم ماذا كان يمنع لو أبقينا الأصل (مولّه) على أصله وفي مكانه من المتن ، ونثبت وجة نظرنا بالمولدي في ذيل الصفحة ؟ وتنظر ص (٢٢٨) .

٢٣ ــ ص ١٣٦ جاء في المتن : (الذي . . . لو حاز الفجر بعض ضيائه لما وُجِد إلى أن تكوّر الشمسُ وتمور الجرباء : غيهب . . .)

قال المحقق في ذيل الصفحة : الجرباء : السماء .

وقوله وارد ، ولكنه قد يثير تعجُّبَ قارئٍ ، فيكف تكون السماء : الجرباء وهنا يتولّى « لسانُ العرب » الشرحَ : (الجرباء : السماء ، سميت بذلك لموضع المجرّة كأنها جَرِبَتْ بالنجوم (. . .) وقيل الجرباء من السماء الناحية التي لا يدور فيها فلك الشمس والقمر) .

ويبقى في النفس شك لأنك تقول عن أرض ممحلة : جرباء .

ويمكن أن يزول الشك بوجود يمور مع الجرباء ، والآية الكريمة : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْرا ﴾

٢٤ ــ ص ١٥٦ : (حيث أني . . .) : حيث إني

٢٥ ــ ص ١٦١ (رأس الجحاجح في النهى)

وفي الشرح : (الجحاجح : جمع جحجح (بالفتح) وهو السيد السمح الكريم)

صحيح أن (الجحجح : السيد الكريم)

ولكن الأولى أن يرد في مفرد الجحاجح : الجحجاح ــ أو أن يرد الاثنان مَعاً ؛

الجحجح والجحجاح ـ إذا كان ولابُدّ .

٢٦ ـ ص ١٩٠ في الحاشية يقول المحقق : (يشير إلى قول المتنبي :

وَعَيْنُ الرضا عن كل عَيْبٍ كليلةٌ كما أنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي المَساوِيا

والبيت ليس للمتنبي . وإنما هو لعبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ـ ينظر في مجموع شعره الذي عمله الأستاذ عبدالحميد الراضي ، بغداد ١٩٧٥ ص ٩٠ .

٢٧ ـ ص ٢١٠ (الشيخ أحمد الطحطاوي الحنفي) وفي الحاشية : (أحمد الطحطاوي) : كذا في الأصل ، والصحيح) الطهطاوي . . . . (الأعلام ١ : ٢٤٥) .

أ ـ في ذهني ، وخلال قراءات سابقة عن الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي ، ربما ورد كذالك الطحطاوي ، وكأن طهطا تلفظ ـ كذلك ـ طحطا .

ب ـ رجعت إلى « الاعلام » (١/٢٤٥) فوجدت : « أحمد محمد بن إسماعيل الطهطاوي . . . ان أباه رومي (تركي) حضر إلى مصر مُتَقَلِّدًا القضاء بطحطا (وهي طهطا) وربما قيل له (الطحطاوي) . وعلى هذا فمن المبالغة . أن نعد (الطحطاوي) خطأ « والصحيح : الطهطاوي) .

٢٨ ـ قد يشرح المحقق كلمة في مكان . . . وتتكرر هذه الكلمة مرة أخرى في مكان بعيد عن الأول من المتن ، فيقول : (سبق تفسيرها) فيصعب بل يستحيل على القاريء ضبط المكان الأول . من ذلك (فروق) وردت ص ٢١٧ فقال : (سبق تفسيرها) وعلى القاريء أن يبحث في الحواشي ويبحث ليقع ـ مثلا ـ عليها ص ٨٤ (فروق : لقب القسطنطينية . . . » ومناسب في هذه الحال إعادة التفسير أو عمل فهرس خاص للأماكن يستدل به على المطلوب .

بغداد : د. علي جواد الطاهر

الحــــواشي :

(١) البيتان في رواية الجاحظ ـ « البيان والتبيين » تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، ط ١٩٤٨ ، ١/٢١٨ :=